خطورة تصريحات السيناتور الأمريكي ليندسي جراهام

بقلم:
د. أحمد رفيق عوض ○

لينـدسي جراهام، السيناتور الأمريكي عـن ولاية كارولاينا الجنوبيـة، الذي يصـرّح يمينا وشمالا وكأنه صانع قرار في البيت الأبيض وفي وزارتـي الخارجية والحربيـة في وقت واحـد، يقدّم نموذجا لماكينة السم والتحريض والجهل أيضـاً، فهو يدعو صراحة إلى تكـرار ما تم فعلـه في اليابان وألمانيا لضمان تغيير الشـعوب والحـدود والثقافـة، إنـه يدعو صراحـة إلى الإزالـة والحـذف، وكأن النـاس مجـرد ديكور في لعبـة كمبيوتـر، وهـو لا يُخفي كراهيته الشـديدة وعداءه السافر للإسلام والمسـلمين، ولا يتوانى عـن وصف ما يجـري بأنه حرب دينية، المنتصر فيها سيحدد شكل المرحلة لألف سنة قادمة، وهذا ما يُذّكر بعقيدة الألفية السعيدة، حيث ينتصر الخير على الشـر حسـب الأجندات الاستعمارية طبعا.

جراهام هـذا يقـدم نموذجاً للعقليـة المتطرفـة المغلقة التي تُفصِّل النصوص الدينية كما تريد، وتحولها من صلـة روحية دينية إلى تبرير اسـتعماري يبيح القتل والتشـريد والتدمير، والمشـكلة هنا التي تدفع إلى الشعور بالعبث العقلي، أن ما يقوله هذا الرجل يأتي في سـياق من الرفعـة الأخلاقية والفكرية، بمعنى أن تبريره للدمار والقتل والإبادة ما هو إلا جزء أصيل من النظام الليبرالي الذي يبدو أنه لا يكتمـل إلا به، وفي هـذا ذروة التناقض والسـخرية في آن معاً، وكأن الليبراليـة لا تكون إلا على حساب الشعوب، وكأن الليبرالية لا تعبد إلا نفسها ولا تعيش إلا لذاتها.

السم الذي ينفثه جراهام في كل مكان، تهديـداً وعدوانية وكراهية، هـو نمـوذج بغيـض للتيارات الأصوليـة العريضـة، ليس في الولايات المتحـدة فقط، وإنما في أماكن كثيرة فـي العالم، بما فيها إسرائيل طبعاً، حيث تكتسب فكرة بناء الهيكل زخماً كبيراً.

ليندسي جراهام هو نموذج يمثل قادة اليمين المسيحي ودُعاة التراث اليهودي المسـيحي في الولايات المتحدة ومبشريه، الذين لهم تأثير هائل في مجمل صناع السياسـة والإعلام والثقافة، استطاعوا فرض رؤاهم الدينية الحرفية على صنع القرار السياسـي، وهو أمر واضح وجلي منذ بدايـات تكون الولايات المتحدة، بحيـث ارتبط في وعي مؤسسـي هذه الدولة بأن ظهورها تجسيد «لنهاية الزمان»، ولهذا لم يكن من المستغرب أن يرى هؤلاء المؤسسون في إقامة إسرائيل دليلا على ذلك، أما أسـباب اهتمام الآباء المؤسسين بالفكر الأخروي ونهاية الزمن، فهي كالآتي:

1 . الاعتقـاد بـأن أمريكا أمة فضلتها العنايـة الإلهية وخصّتها بمهمة مقدسـة منذ بدء الاستيطان الأوروبي لها، فقد اعتقد الطهوريون أن أمريكا هي في الحقيقة «صهيون الجديدة»، وتـردد هذا الاعتقاد في فترات متعددة من تاريخ أمريكا.

2 . الادّعـاءات الأمريكيـة المستمرة بأن لأمريكا مهمة مقدسة أخـرى، هـي نشـر الديمقراطية والحريـة والعلـوم والنزعـة الإنسانية في كل أنحاء العالم، هذا النوع من التفكير غالباً ما يُشـجّع النظرة الذاتيـة الطوباوية ويرفد أيضاً أفكار الألفيـة ونبوءات آخر الزمان ودور أمريكا فيها.

3 . انتشر نتيجة لهذه المعتقدات والأفكار، الحماس التبشيري بشكل أسرع وأوسـع في أمريكا منه في أوروبا، وسـاعد بدوره على قبول الأفكار الألفية واقتراب نهاية الزمن.

وبما أن هذا المعتقد يفترض أن يأتي المشيح المخلص إلى «الشعب المختار»، وهو الشـعب الذي آمن بـه – أي يتم اسـتبدال الشـعب المختار اليهودي بالشعب المختار الثاني وهـو الذي آمـن بألوهية المسـيح حسـب تعبير الدكتور عبدالوهاب المسـيري رحمه الله –، فإن ذلك يفترض دعم إسـرائيل كدليل على صحة النبوءات، والأهم هو أن ترجمة هـذا الفكر الأخروي فـي الولايات المتحـدة تحول إلى سياسات ومؤسسات ودعم وتماثل، والمشاركة في حروبها.

هذا الفكر الأخروي المنتشـر بقوة، على مسـتوى النخبة وعلى مسـتوى الجماهير، يتضمن ضمن أمور أخـرى، ما يسـمى «بخطة الله للدهر»، وهي خطـة مأخوذة من التفسـيرات الحرفية لنبوءات الكتاب المقدسـة، وهي مقسمة إلى عدد مـن الفتـرات الزمنية، حيث تتميـز كل فترة بأحداث جسـام، ونحن نعيش حسب هذه التوجهات «بالخطـة بالمرحلة الرابعة» التي تتميز بعودة المشيح – ملك الملوك ورب الأربـاب – فيُهزم الشـر في معركة مجـدو، ويجتمـع حوله المؤمنون والمخلصون الذين نجوا من محنة المرحلـة الثالثة والذين سيعمرون المملكة الألفية.

والحديث هنا لا يدور عن جدل أكاديمي نخبوي، بـل يتحوّل إلى تيـارات عريضة تدعـم دون قيد أو شـرط عودة اليهـود إلى أرض الميعاد، وتأسيس دولة إسرائيل ... وكل من يعتقد بأن حق اليهود بهذه الأرض مدعوم بالكتـاب المقدس هو صهيوني، وقد اسـتطاعت هذه الأفكار تشكيل الرأي العام الأمريكي وربما سياسة أمريكا الخارجية.

وتتمثل هذه الأفـكار والرؤى على النحو التالي:

- ربـط التنبـؤات حرفيـاً وتفصيلياً بما يجـري من أحداث عالمية، وبصورة خاصة بما يجري في العالم العربي.
- وضـع إسـرائيل، الدولة السياسية، في بؤرة هذه الأحداث، علـى أنهـا موضـوع النبوءات الرئيسـي، والدعوة إلى دعم هذه الدولة سياسـياً وماديا وعسكرياً، لأن ذلك من علامات الساعة.
- العداء الرهيب الـذي يُكنّه هؤلاء الدُعاة للإسلام والمسلمين، بل دعوتهم إلى إبادة الإسلام كشرط من شروط تحقيق النبوءات.
- اشتراك هؤلاء الدعاة بالنشاط التبشـيري المحموم، وخاصة في العالـم الإسـلامي، لأن ذلك أيضاً يُعجّل بتحقيق هذه النبوءات.

ليندسي جراهام –لأسباب علنية وخفية– يتحـدث بوقاحة كبيرة، ويُعبّـر عن هذا الفكـر المنحرف للنصوص الدينية مستغلاً مرحلة الضعـف والتفـكك، وهـو ليس وحـده في هـذا المجـال، فهناك حملة ممنهجة، إعلامية وسياسية، ضد الوجود العربي والفلسـطيني والإسـلامي في الولايات المتحدة، في محاولة مكشوفة لحرف الأنظار وتغيير الاهتمامات.

الحرب الأخيـرة توفّر أرضية خصبة لاستثمار هذا الفكر المتطرف وترويجـه والدعوة إليه، وهو فكر قـد يقود –لأسـباب أخرى– إلى حرب عالمية لا تُبقي ولا تذر.

○ رئيس مركز الدراسات المستقبلية بجامعة القدس

تسـاؤلات حـول الحـرب الراهنـة

بقلم:
د. عبد المنعم سعيد

الحروب عادة يوجد فيها ألغـاز كثيرة تذهل المعاصريـن، ويختلف عليها المؤرخـون في المسـتقبل. الأسـباب كثيـرا مـا تذهل المتابعين رغم طرحها من قبل المشاركين، وفى العادة يتهم كل طرف الأطـراف الأخرى بأنها الأصل في وقوع الحرب.

الإعلام عادة ما يتسـاءل بهـذه الألغاز فـي كل حرب ويطرح أسـئلة مـن نوعية «اليـوم التالـي» الذي يظل غائبا طوال الأيام التالية، أما السـؤال عما إذا كانت هناك استراتيجية واضحة للقتال، فإن الغموض يظل مطروحا طالمـا أن الحريق والدخان يحط على أي استراتيجية بالغموض أو ما يسمى بضباب الحرب.

السـؤال الأكثر سـخافة هو «متى تنتهي الحرب؟» وكأن الحرب المعنية لا تزال تسـير على طريقة عهود غابرة عندما كان طرفا الحرب يعقدان المبارزة بالسـيوف ويمكن القطع بأن المهزوم سوف يقع خلال ساعة. وتتعقد المسألة في الحرب عندما يكون هناك إصرار على السؤال ترى من الرابح ومن الخاسـر في الحرب رغم المعرفة أن كل المشـاركين في الحرب لابد لهم من خسـارة. ومع ذلك، فإن هناك من يصر على أن أسـباب الحرب بالطبع ظاهرة وجلية، ولكن على الجانـب الآخر فإن هناك من يسـأل عن «الأسباب الجذرية Root Causes» للحرب؟

ولـذا يقـال إن الحقيقة هـي أول ضحايا الحـروب؛ وفى حرب إيـران الجارية لا يوجد يقين عمن أشعلها وعما إذا كان الرئيس الأمريكي ترامب هو المسؤول أم أن ذلك جرى بالاتفاق مع رئيس الوزراء الإسـرائيلي نتنياهو أو جذور الحرب كانـت بالمواقف الإيرانيـة التي تبدأ بتخصيب اليورانيوم ولا تنتهي بسلوك الأذرع المسلحة الإيرانية في المنطقة.

حـرب الخليـج الرابعة جاءت بعد الحرب الأولى بين العراق وإيران، والثانية بعد أن احتلـت العـراق الكويت، والثالثـة كانـت بالغـزو الأمريكـي للعـراق لتحرير الكويت والخـلاص من نظام صدام حسين الذي كان هناك شـك بسـعيه نحو القنبلة الذرية.

ان ما يستنتج من الوقائع والملفـات التاريخيـة أن الحروب تحـدث لأن توازنات القـوى اختلـت؛ وكثيرا ما يشـير المتخصصون إلى أن «ثيوسيديدس» المؤرخ اليوناني القديم كان من أشـار أن الحرب بين «أثينا» و«اسبرطة» قامت لأن الأولى زادت قوتها العسكرية والاقتصادية ويبدو أنها السياسية أيضا مما دفع إسبرطة إلى حرب انتصرت فيها.

بعد قرون كثيرة كان «جراهام أليسـون» أستاذ العلاقات الدولية في جامعة هارفارد هو الذي نحت تعبير «لغز ثيوسيديدس» وتطبيقه على العلاقـات في العصر الحالي بين الولايات المتحدة والصين؛ وأن صعود الأخيرة سـوف يرتب تهديدا للأولى ينتهي إلى الصدام.

هل في هـذه النظرية ما يفسـر الحروب الحالية في الشرق الأوسط من أول حروب غزة الخمس حتى حـروب الخليج الأربع وما تفرع من حروب أخرى بعضهـا أهلي والآخر إقليمي وثالثها اشـتمل على تدخلات دولية تظهر فيها الولايات المتحدة، بينما تحوم الصين وروسيا حولها.

ان الأوضـاع في المنطقة فيهـا الكثير من السـيولة، ومن قبلها أعماق تاريخية سحيقة؛ مع وجود معسكرات للمقاومة والممانعة مقابل البناء والتعمير والتقدم. ما بال ذلك لا يدفع إلى كثير من التفكير والبحث!!

العـرب وأهداف إسـرائيل مـن الحرب

بقلم:
محمد ياغي ○

يقول نتنياهو صراحةً إنه يريد شـرق أوسـط جديداً لا يكون فيه على إسرائيل قيود. ويقـول صراحة إنه يريد مناطق عازلة في سورية ولبنان، وأن «لا تحلموا بدولة فلسـطينية» لأن فلسـطين التاريخية جميعها هي أرض إسـرائيل. وأكثر من ذلك، يقول إن السـلام الذي يعرضه على العرب لا مقابل له غير فوز «العرب» بحياتهم حتى لا يصيبهم ما أصاب غزة.

هذه الحرب بدأتها إسرائيل والولايات المتحدة. ولقد قامتا بها أثناء المفاوضات مع إيران ووسـط أجواء قالت عنها سلطنة عُمان بأنها كانت إيجابية. ثم علمنا من نتنياهو لاحقاً أن قرار الحرب وموعدها كان تـم الاتفاق عليهمـا مع ترامب أثنـاء زيارته للولايات المتحدة نهاية شهر يناير الماضي، أي قبل شهر من بدء الحرب على إيران.

وبهـذا لم تكـن المفاوضات إلا مُجـرد تكرار للخديعة التي رافقت حرب إسـرائيل وأمريكا على إيران فـي يونيو الماضي. لقد أعلنـت إيران مراراً أنـه إذا كانت النية هي التأكـد بأنها لن تتمكن من صناعـة قنبلة نووية فإنها على اسـتعداد لتقديم كل الضمانات التي تطلبها أمريـكا ووكالة الطاقة الذرية، لكن ليس هذا ما تريده إسـرائيل وحليفتها أمريكا، ولكـن هدفهم الحقيقي هـو تغيير النظام في إيران بآخر يقبل بهيمنة إسـرائيل على الشرق الأوسط، بمعنى الهيمنة على العالم العربي، وإذا لم يكن تغير النظام ممكناً، فـإن الهدف يصبح تدمير البنى التحتية للدولة وإضعاف سـلطتها المركزية بما يؤدي مع الوقت لانكفائها على نفسـها، وربما سقوطها أو تفسخها.

العرب يعلمـون أهداف إسـرائيل جيداً، وهم مُدركـون أنها تتعـارض مع مصالحهـم. هيمنة إسـرائيل على العالم العربي تعني سيطرتها على مواردهم ومقدراتهم وسياساتهم. كما أن قبول تدمير إيران وتحويلها إلى دولة ضعيفة، ممزقة، ومُفقرة، يشـكل تهديداً مباشـراً لأمنها: يتمثل في الهجرة، والقرصنة البحرية، والإرهـاب، والحروب الدائمة في المنطقة التي يتم فيها استخراج نفطهم.

والعرب كانوا يعلمون بأن أي حرب شاملة على إيران كانت سـتصل أطرافها الى استهداف الاهداف العسـكرية والمصالح الاقتصادية والسياسـية الأميركية في المنطقة، وقـد تصل أيضا الى حقول النفط والبنى التحتيـة إذا كانت الولايات المتحدة طرفاً رئيسياً في هذه الحرب.

ولهذه الأسـباب جميعاً، فـإن العرب جميعهم رفضوا الحرب على إيران، وحاولوا ثني إدارة ترامب عنها، لكنها لم تكترث برفضهم، ولم تعبأ بمصالحهم، وأدارت ظهرها لهم، وقامت بالحرب التي نسـقتها ووقتتها ووضعت أهدافها مسبقاً مع إسرائيل. وهو ما يعني أن العرب لـم يتم الاهتمام بمصالحهم في مقابل رغبات إسرائيل التي تريد سحق إيران، لفتح الطريق أمام تكريس واقع هيمنتها وسيطرتها على العالم العربي.

لقد قامت أمريكا بالحـرب رغم علمها وإدراكها أن سـاحة الصراع لن تكون فقط إسـرائيل ولكن كامـل الجغرافيا التي تتواجـد فيها قواعد مصالح أمريكية في العالم العربي. وقامت بها رغم إدراكها التام بأنها حـرب غير ضرورية لأمنهـا لأن إيران لا يُمكنها، حتى لو امتلكت أسلحة نووية، أن تهدد أمن ومصالـح الولايات المتحدة (كوريا الشمالية مثال على ذلك).

والعرب يدركـون أن أمريكا أعلنت الحرب على إيران لسبب بسيط وهو أن إدارة ترامب يتحكم بها فريق من المسيحيين الصهاينة الذين قرروا وضع مقدرات الولايات المتحدة كاملة في خدمة إسرائيل ومصالحها.

هم يعلمـون مثلاً أن وزير الحـرب الأميركي «بيت هيغسـيث» أعلن كراهيته للإسلام و«أفتى» بجواز قتل المسـلمين ولقد تم استجوابه من لجنة من الكونجرس بشـأن تصريحاته. وهذا رجل قال علناً إنه يريد أن يرى بناء (الهيكل) مكان المسـجد الأقصى، وأن ذلك «لم يعد حلماً بعد اعتراف ترامب بالقدس عاصمة أبدية لإسرائيل».

ووزير الحرب ليس وحده، معه وزير الخارجية مارك روبيو، وجاريد كوشـنر، وستيف ويتكوف، وجميعهم يحملون الجنسـية الأمريكية، لكنهم قلباً وقالباً ليسـوا أكثر من فريق من الخدم لإسرائيل. لقد ادعى ويتكوف مثلاً بأن إيران كانت على مسافة عشرة أيام من صناعة قنبلة نووية. اوَ لم تسمعوا هـذا الادعاء يقال مراراً منذ عام 2015؟ وكأن الكذب سيتحول الى حقيقة إذا تم تكراره.

إن جوهر وجـود الإدارة الأمريكية الحالية هو خدمـة دولة الاحتلال. وإن الفشـل في رؤية ذلك، ليس مُجرد ضيق أفـق أو عدم وضوح في الرؤية، ولكنه خداع للنفس.

العرب مطالبون اليـوم بالدفاع عن مصالحهم التي ضحت بها الولايات المتحدة لحساب إسرائيل. وهذا يتطلب منهم عدم التورط معها في الحرب على إيران. إن هذا وحده ما سـيحمي دولهم من الدمار الناتج عـن الحرب، وهو ما سـيحميها من هيمنة إسرائيل عليها.

لقـد بذل العرب جهـودا كبيـرة لمنع اندلاع الحـرب. لكن إدارة ترامب هي التي قررت التضحية بمصالحهم خدمة لإسـرائيل، وبالتالـي فإن الرد لا يكون بالدخول في حرب مـع الولايات المتحدة ستكون نتيجتها تدمير بلدانهم.

العرب عليهـم أن يتعلموا من أوروبا مثلاً التي رفضت مسـاعدة ترامب وإسرائيل في هذه الحرب، ليس لأنهـا مع القانون الدولي، ولكن لأن ترامب لم يقم باستشارة دولها والتنسيق معها، ولأنه تعامل مع الأوروبيين ومع مصالحهم بازدراء، وعليهم أن يدركوا أن انضمامهـم للحرب لن يغير من نتائجها شـيئاً، وهو ما صرحت به ألمانيـا عندما رفضت إرسال اسـطولها البحري للخليج العربي قائلةً إن بضع فرقاطات لن تغير من واقع الحرب شيئاً.

إن مصلحة العرب الحقيقية هي في منع إسرائيل من تحقيق أهدافها، واستغلال الحرب وتأثيرها على الاقتصاد العالمي، ورفض كل الدول الغربية ومعها تركيا وروسـيا والصين واليابان لهـذه الحرب، للتقدم بمبادرة سياسية لا تهدف فقط لإنهاء الحرب في الخليج، ولكن لإحلال سلام دائم وشامل في كامل منطقة الشرق الأوسط.

○ كاتب من فلسطين.

حتميـة فشـل مخططـات «الشـرق الأوسـط الجديـد»

بقلم: د. محمد
عبدالشفيع عيسى ○

«الشـرق الأوسـط» مصطلح جديـد نسـبيا، صكّـه المفكرون والساسـة الغربيون، كزاوية للنظر إلى منطقتنا (المنطقة العربية – الإسلامية، المركزية)، وإن كان قد بدأ يضيف – على لسـان «حكماء» البنك الدولي، المنطقة الفرعيـة للمغرب العربـي أو «الغرب الإسـلامي» ليقول «الشـرق الأوسط وشـمال إفريقيا»، وخاصـة منذ أوائل سبعينيات القرن العشرين.

وإن كان «الشـرق الأوسـط» قـد تمّ صكّه فـي خضمّ احتـدام التنافس والصراع الدولـي بين القوى الأوروبية الاسـتعمارية الكبرى في أواخر القرن التاسع عشـر وأوائل القرن العشرين، فهو إذن، بمعنى ما، (قديم).

لا نقصـد بالقديم هنـا، العصور القديمـة، فتلـك لهـا مداهـا الزمني الخاص (قبل الميلاد) حين سادت دول وإمبراطوريات، ثم بادت غالبًا، لأسباب مختلفة، مثل «قدماء المصريين»، وقدماء العراقيين وقدماء «سـوريا الطبيعية»، وقل مثل ذلك عن الصين شرقًا، والرومان غربًا.

والشـيء بالشـيء يذكـر، فـإن «العصور الوسطى» قد بدأت فيما يسمى الآن الشرق الأوسط بمعناه الواسع، أو «المنطقة العربية – الإسلامية، المركزية» بتعبيرنا، باسـتبعاد التخوم والمناطق الفرعية من «عالم الإسـلام» في آسـيا الشرقية ووسط إفريقيا بالذات. ونقصد بعالم الإسـلام هنا «العالم الإسلامي» حضاريا، ومثل ذلك ديموجرافيا، بحسب الخطوط الأفقية والرأسية قبل اكتشاف الأمريكتين مع مطالع القرن السـادس عشر الميلادي.

كانـت –ولم تـزل– نـواة العالم الإسـلامي، بالمدلوليـن الديموجرافي والحضاري – هـي منطقتنا المتمركزة حـول عوالم وأمـم العـرب والفرس والترك، بوجه عام.

وكمـا أشـرنا، فقد كانـت بدايات العصـر الوسـيط، إبان ظهـور الدين الإسلامي في القرن السادس، قائمة على نوع مـن «القطبية الثنائيـة» إن صح التعبيـر، للفرس والـروم. وكان عرب (شبه الجزيرة العربية) وامتدادها شرقًا وغربًـا، يحاصرهم ضغط من الجهتين، وكانـوا أكثر ميلاً للـروم دون الفرس لخشـيتهم من عواقب القرب الجغرافي الشديد.

وقد عبرّ القـرآن الكريم عن ذلك في مطلع سـورة «الـروم» بالذكْر: «غُلبت الـروم، في أدْنـى الأرض وهم من بعد غلبهم سـيغْلبُون، في بضْع سنين، لله الأمر من قبلُ ومن بعـدُ، ويومئذ يفرحُ المُؤمنُون»، وسـرعان ما تم استيعاب الفـرس في عالم الإسـلام بعـد فتح العـراق، بينما انتظر بعض الروم زمنًا، ليتغلغل الترك بعد ذلك في نسيج الدولة الإسلامية، خلال العصر العباسي الثاني بالذات، وظل الأمر سجالاً حتى حين.

وجـاء هـذا الحيـن لمـا تغلغل «السـلاجقة» في العالم المحيط بشبه الجزيرة شـمالاً، وأخذ الترك بأسـباب القوة، وخاصة من (آل عثمان) حتى تم فتح القسطنطينية عام 1453 وهي عاصمة الدولة الرومانية الشـرقية، أو الدولة «البيزنطية»، فبدأت حقبة السيطرة، بل الهيمنة التركية – العثمانية، حتى دقت أبواب «فيينا» – عاصمة دولة النمسـا – المجـر – أو إمبراطوريتها، كما كان يقال. وأخذ عالم الإسلام المتمركز تركيًا بالتعمق وبالتوسـع، حتى هضم تقريبًا منطقة البلقان وبعض أوروبا الشرقية، وكامل «البر العربي» مشرقًا ومغربًا، عدا المغرب الأقصى الحالي.

ظلت الدولة العثمانية تتوسّع، ولكن في ظل خشية متنامية من جانب العالم الأوروبي الذي استيقظ قويًا، مع النهضة الاقتصادية، من بعد الكشوف الجغرافية، فظهـور «الرأسـمالية» الزراعيـة ثم التجارية، وبعدها الصناعية. ومنذئذ بدأ ظل الأتراك في الأفول، حتى لقبت خلال القرن التاسـع عشـر بالرجل المريض لأوروبا.

مع نهـوض حركـة القوميات في البلقان، ثم بلاد العرب المشـرقية، بدأ تقلص عالـم الترك في عمقـه الثقافي والحضـاري، مقابل التوسـع العملاق لأوروبـا الغربية (بريطانيا، فرنسـا خاصـة) بعد انحسـار ظل الإسـبان والبرتغاليين والإيطاليين.

وكان مـا كان بعد ذلـك، من تقدم أوروبـا، وتقلص دولـة آل عثمان في عاصمتهم (الآستانة) حتى بلغ التنافس والتطاحن الدولي مداه، إثر توحيد ألمانيا عـام 1871، فتكونت كتلتـان تصارعتا دمويًـا خلال الحـرب العالمية الأولى: أولاهما تمركزت حول روسـيا وتركيا، والثانية من خلال بريطانيا وفرنسـا، وانتهت بسقوط الإمبراطوريين الروسية والعثمانيـة. وكان لا بـد مـن توزيع الغنائم والأسـلاب، في مؤتمر فرساي عام 1919، وكان أن أُعيد رسـم خريطة العالم، غير «الشـرق الأوسط» بمدلوله المعاصر، مقسمًا بين الدول الاستعمارية المنتصرة – بريطانيا وفرنسـا باسـم «الانتداب» خاصة، على حسـاب الدول المنهزمـة – ألمانيـا وإيطاليا وتركيا. بينمـا أفلتت روسـيا وأقامت من رحم الثورة البلشـفية، الاتحاد السـوفيتي، مكونًا من المركز الروسي وما حوله في كامل أوروبا الشرقية بالذات.

تحت ظلال «الانتـداب البريطاني»، المشـرعن من «عصبة الأمم» تسـللت الحركـة الصهيونية الناشـئة ـ عقب المؤتمر اليهودي الأول عام 1897، وبعد أن كانت حصلت على ما يسـمى «وعد بلفور» عام 1917، ثم ليولد «ملاذ يهودي» برعاية الدولة المنتدبة على فلسـطين – وهـي بريطانيا، خـلال فترة –1919 1947 علـى امتداد ربع قرن تقريبًا، وهو ما يسـمى تقليديًا بالوطن (القومي..!) لليهود وما هو بوطـن بل ملاذ، وما هو بقومي حقيقة، بل عنصري أكيد.

ذلـك إذن هو عالم مـا بعد الحرب العالمية الأولى، ثم ما بين الحربين، حتى 1945، ليتلوه الزحف الصهيوني لإقامة الملاذ خلال حرب ثم نكبة 1948. إنه إذن «الشرق الأوسط» كما رسمته بريطانيا عقب الحـرب العالمية الأولى، بالتعاون مع فرنسا فيما يسـمى (اتفاق سايكس – بيكو) لتوزيع بلدان المشـرق العربي المجـزّأ بالذات، فيما بينهما، مع تكريس احتلال تونس لعام 1881، والجزائر قبل ذلك عـام 1830، وليبيا من قبل إيطاليا منذ 1911 وبين الحربين.

كانت نكبة 1948 علامـة على بدء تمركز الحركة الصهيونية ـ وسط شرق أوسط، مقسّم استعماريًا ومسيطر عليه كليًا تقريبًا، من العراق إلى المغرب.

ذلكم هو إذن «الشـرق الأوسـط» القديم، الذي قامت في مواجهته ثورة 23 يوليه العربية، مـن مصر القاهرة، عام 1952 ــ فأوقفت نمـوّه وحولت وجهته تمامًا، حتـى حين، وكان هذا الحين بعد عدوان ونكسة الخامس من يونيو 1967 ثم وفـاة عبدالناصر في 28 سـبتمبر 1970.

وأخذ تكرّ حبّات المسـبحة – غير المقدسـة – عبـر تطـورات متلاحقة ومتغيرات لولبيـة لاهثة، وكان ما كان بعد سـيطرة الحركة الصهيونية، على الضفـة الغربية لنهر الأردن، وشـبه جزيرة سيناء التي استردت على مراحل بعد حرب أكتوبر 1973.

ولكن أكتوبر 2023 – طوفان الأقصى – قلب الموازين جزئيًـا ومؤقتًا، حتى عادت الحركة الصهيونية العنصرية من خلال «اسـرائيل» فأخذت تحاول إعادة رسم خريطة المنطقة بكاملها، حتى رفع دعاتها شعار «الشرق الأوسط الجديد»، ويقصدون به «الشرق الأوسط صهيوني التمركـز» Zionism–centered.. ولكن هذا حلم غيـر قابل للتحقق بحكم طبائع الأمور. إنها محاولة لاسـتعادة «الشرق الأوسط القديم» كما أشرنا، في ثوب جديد، من حول اسـرائيل والحركة الصهيونية العنصرية النهمة للتوسيع الاستعماري بغير انقطاع.

لن يكون هناك مكان لشـرق أوسط صهيوني التمركز – أي جديد – حتى لو امتدت يـد الإمبراطورية الأمريكية إليها بالمال والسلاح وغيرهما.

هـذا حكـم التاريـخ، وحتميته الواعية، ليعـود عالم «المنطقة العربية – الإسـلامية المركزية قويًا لامعًا، ولن يعود الشـرق الأوسـط القديم ولو في ثوب جديد، مهمًا كان..!».

○ أستاذ في اقتصاديات التنمية والعلاقات الدولية